مَنشورَات مَعهَد الليتورجيّا في جَامعَة الرّوح القُدُس

بحُوث مُهدَاة
إلى الأبَاتي يُوحَنّا تَابت

الطابع الليتورجيّ لسفر الرؤيا

الأب أيوب شهوان

الكسليك – لبنان
٢٠٠٥

الطابع الليتورجي لسفر الرؤيا

الأب أيوب شهوان

١- سفر الرؤيا ويوم الرب

يُدْرِج يوحنا الإنجيلي، كاتبُ سفر الرؤيا، دعوتَه النبويةَ في يومٍ محدَّد، مختلفٍ عن باقي أيام الأسبوع، هو يوم الرب، فيقول: «وكنتُ في الروح، في اليوم السيديّ»؛ يعني بذلك: «كنتُ منخطفًا بالروح يومَ الأحد الذي هو يوم الرب» (رؤ ١:١٠)؛ كما يعني أيضًا أنَّ ما دوّنه في سفر الرؤيا ذو مصدرٍ إلهي، وله، كأقوال أنبياء العهد القديم، طابعٌ إلهي، يفوق الطبيعةَ، يميّز الملهَمين من رجال الله الأبرار. لقد فَهِمَ الحقائقَ الإلهية، عندما أمسكَ به الروحُ في يوم الرب، واختبر عظمةَ هذا اليوم الذي يجمع المؤمنين حول القائم من الموت كي يتذكّروا موته وقيامته[١] حتى مجيئه في آخر الأيام. تضفي هذه العناصرُ الليتورجية، في مستهل سفر الرؤيا، على هذا الأخير وشاحًا ليتورجيًا مميَّزًا، تجعلنا ندرك أنه مكتوبٌ في إطار اليوم السيّديّ، ومهورٌ بخاتمٍ ليتورجيّ[٢].

---

١ HARRINGTON D., *Revelation. The Book of the Risen Christ* (Spiritual Commentaires, 1999).

٢ Id., «L'Apocalypse», in: E. Cothenet et alt., *Les écrits de Saint Jean et l'épître aux Hébreux* (Desclée: Paris, 1984) 215-282, spécial. 270-274.

٢- سفر الرؤيا كتاب ليتورجيا الجماعة

منذ البداية، يبدو سفر الرؤيا كتابَ عبادةٍ وصلاة، وشكرٍ ومديحٍ للجالس على العرش وللحَمَل، كتابَ صلواتِ الجماعةِ وعبادتِها وليتورجيّتِها، جماعةٍ تسبّح الربَّ بتقديساتٍ ثلاثية، مع «كل واحدٍ من الأحياء الأربعة... الذين لا يبرحون نهارًا وليلاً يهتفون: قدوس، قدوس، قدوس الربّ الإله الضابط الكلّ، الذي كان والكائن والآتي» (رؤ ٤:٨). وكأن الكتابَ كلَّه احتفالٌ ليتورجيٌّ ينتهي بهتاف الجماعة: «آمين، مارانا، تَا: تعال، أيها الرب يسوع» (٢٢:٢٠)[٣].

نتبيّن إذًا، ومنذ الآيات الأولى، أن سفر الرؤيا يشتمل على مخزون ليتورجي كبير وهام، من حيث الأقوال الليتورجية، والمفردات، والتعابير المستعارة، والتلميحات المستلّة من ليتورجيات الكنيسة الأولى في بداياتها. فالعناصر الليتورجية التي حفظها لنا هذا السفر هي ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلينا، روحيًا، وليتورجيًا، ولاهوتيًا، وتاريخيًا، وحتى اجتماعيًا. لن يُتاح لنا أن نركّز هنا سوى على البُعْد الليتورجيّ وعلى ما يتضمّنه من أقوال وممارسات وصور، وما يكتنـــزه من تعاليم، الأمر الذي سيساعدنا على التعرّف إلى ليتورجيا الكنيسة الأولى التي عرفت أن تحوّل ما تؤمن به إلى فعل عبادة وصلاة. سنستعرض ما في الرسائل إلى الكنائس السبع في رؤ ٢-٣، من عناصر مفيدة لموضوعنا، ثم نتوقّف عند العبادة التي هي بحدّ ذاتها ليتورجيةٌ بامتياز في رؤ ٤-٥، وسنبرز نهاية الاحتفال في رؤ ٢٢، وإعلانَ حضور الله الدائم معنا.

لكننا نتساءل عن السبب الذي لأجله اعتمد يوحنا الليتورجيا - إلى جانب الأسلوب الرؤيوي - وسيلةً لإيصال رسالته. لا بدّ هنا من العودة إلى الوضع والبيئة التاريخيَين اللذين كُتب فيهما السفر، أي إلى الأحداث التي جعلت الكنيسةَ «تبلغ

---

٣ PRIGENT P., *Apocalypse et liturgie* (Neuchâtel, Paris, 1964); SCHERRER S. J., «Signs and Wonders in the Imperial Cult», *JBL* 103 (1984) 599-610.

في الجهاد حتى الدم»، من اضطهاد، وإكراهٍ على عبادة الأمبراطور الروماني، وشهادةِ الكلمة والدم.

أ- تأدية العبادة للأمبراطور[٤]

كُتب سفر الرؤيا في زمن كانت فيه عبادة الأمبراطور الروماني تُفرَض أكثر فأكثر على العباد، ولنا على ذلك العديد من الشهادات، منها:

- رُفِع يوليوس قيصر، الذي توفي في شهر أذار، سنة ٤٤ ق. م.، إلى مصاف الآلهة بقرار من مجلس الشيوخ الروماني، وأُعلِنَ «الإلهَ السّامي» (Augustus Deus)؛
- أُدرِجَ الأمبراطور أوغوسطوس سنة ٢٩ ب. م. على لائحة آلهة روما، وهو على قيد الحياة، ولُقِّبَ «ابنَ الإله المعبود»، كما نتبيّن ذلك من القطع النقدية التي سُكّت في أيامه؛
- أمّا الأمبراطور دوميسيانوس فقد لقّب نفسَه «الربَّ والإله» (Dominus et Deus)[٥]؛
- في نهاية القرن الأول الميلادي، عملت السلطات الرومانية على فرض عبادة الأمبراطور في كل أرجاء الأمبراطورية، ومنها مقاطعة آسيا[٦]، مما اضطرّ المسيحيين أن يواجهوا هذا الضلال بإعلانهم عبادة الله الواحد الحقيقي، وبالشهادة لإيمانهم، وبالسجود للحمل الذبيح يسوع المنتصر على الموت بقيامته، إذ لا تسمح قناعاتهم وعقيدتهم بالمساواة بين يسوع وبين

---

٤ PLEKET H., «An Aspect of the Emperor Cult: Imperial Mysteries», *HTR* 58 (1961) 331-47

٥ KERESZTES P., «The Jews, the Christians, and Emperor Domitian», *Vigiliae Christianae* 27 (1973) 1-28.

٦ JOHNSON S. E., «Asia Minor and Early Christianity», In J. Neusner, ed., *Christianity, Judaism and Other Greco-Roman Cults*, part 2, *Early Charistianity* (Leiden: E. J. Brill, 1975) 45-77.

الأمبراطور، ولا بالمساومة على الحق المطلق. ينطوي سفر الرؤيا على نصوص تورد خبر مقاومة المسيحيين لعبادة الأمبراطور ولليتورجيته الزائفة، من خلال الإنشاد للرب دون سواه، مثلاً: «يُنشد الأحياءُ الأربعة: قدوس قدوس قدوس الرب الإله القدير، الذي كان والكائن والآتي» (رؤ ٤:٨؛ رج ٥:٩-١٠).

يشجب سفر الرؤيا هذه العبادة، التي تشكّل ليتورجيا مناهضة للمسيح (Antichrist)، ويُدرج ليتورجيا الحمل التي يحييها «المئة والأربعةُ وأربعون ألفًا، المفتدَون من الأرض، هؤلاء هم الذين لم يتدنّسوا بنساء لأنهم أبكار، هؤلاء هم الذين يتبعون الحمل أينما ذهب، هؤلاء افتُدوا من بين الناس باكورةً لله وللحمل» (١٤:١ و٣ و٤).

هكذا رذل يوحنا تأليهَ الأباطرة الذين كُرِّسوا أو كرّستهم السلطات الرومانية «آلهة» (Kyrioi)، والذين أمروا رعاياهم بأن يؤدّوا العبادة لهم.

ب- الرسائل إلى الكنائس

من خلال الرقم سبعة، وهو عدد الرسائل الموجهة إلى الكنائس السبع، ومن خلالها إلى الكنيسة الجامعة، نتبيّن أن الجماعات المؤمنة كانت في صراع مرير مع الاضطهاد والموت والخطيئة في سبيل الإيمان والحفاظ على القداسة. يتضمّن كلٌّ من هذه الرسائل وعدًا للمنتصرين من المنتصِر الأكبر، يسوع الرب، بعطية خاصة؛ في هذه العطايا نلمس لمس اليد وُجُودَ كَمٍّ من التلميحات الليتورجية التي تحمل في طيّاتها أحد الأبعاد الهامّة من حياة الكنيسة.

لقد واجهت الكنيسة الأولى عبادة الأمبراطور بليتورجيا حقيقية للكائن الأزلي، فشكلت هذه الأخيرة عضدًا أمينًا لمجابهة الاضطهاد، من جهة، وللتعبير عن الإيمان الصادق وعن انتظار أكيد لمجيء الرب، من جهة أخرى. من خلال هذه

الليتورجيا يتبدّى وجه الكنيسة المصلّية، والعابدة، والصابرة على المحن والضيقات والاضطهادات والعبادات المزيَّفة المناهضة للمسيح.

ج- العبادة الليتورجية (رؤ ٤-٥)

شكّلت رؤيا ابن الإنسان (رؤ ١:٩-٢٠) مقدمةً لما يوحيه اللهُ إلى كنيسته في شأن علاقتها به (رؤ ٢-٣)؛ وتشكّل رؤيا الله (رؤ ٤)، ورؤيا الحمل (رؤ ٥)، مقدمةً لما يوحيه الله إلى كنيسته في شأن علاقتها بشعب العهد القديم (رؤ ٦-١١)، وبالعالم الوثني وبالبشرية بأسرها (رؤ ١٢-٢٢). هكذا ينظر يوحنا إلى التاريخ بأسره انطلاقًا من وحي الله إليه.

لهذا يقدّم رؤ ٤-٥ يسوعَ على أنه هو الذي أتمّ في شخصه كل الآمال المسيحانية، كما يظهر الطابعُ الليتورجيُّ لهذين الفصلين (٤:١-٥:١٤)، ليتورجيا في السماء، وليتورجيا في الأرض. فالحَمَل يشير إلى الحمل الفصحي، وإلى موت يسوع، وبالتالي إلى سرّ الإفخارستيا، والكتابُ المخطوطُ يشير في الليتورجيا إلى الكتب المقدّسة. فليتورجيا الكلمة، وليتورجيا تقدمةِ «الحَمَل» تشكّلان ذروتَين في ليتورجيا إفخارستيةٍ ستنتهي مع نهاية الكتاب، ومع النداء الأخير إلى الربّ: «مارانا، تا: تعال، أيها الرب يسوع».

هكذا يبدو الكون (الأحياء الأربعة)، والبشرية (الشيوخ)، مع الملائكة، في جوٍّ عابق بألحان القيثارات ورائحة العطور العذبة، وهي صلوات القديسين (رؤ ٥:٨)، في احتفالٍ ليتورجيٍّ ونشيدٍ لا ينتهي: «للجالس على العرش، وللحَمَلِ البركةُ والكرامةُ والمجدُ والعزّةُ لدهر الدهور» (رؤ ٥:١٣). إنه احتفال ليتورجي دائم، يُنَصَّبُ الحَمَلُ فيه مَلِكًا إلى الأبد[٧]. فحين يرى المسيحيّون هذه العبادةَ السماوية،

---

٧ BAUCKHAM R. J., «The Worship of Jesus in Apocalypse Christianity», *NTS* 27 (1980-81) 322-341.

يكتشفون البُعْدَ الحقيقيَّ للعبادة التي يؤدّونها، ويفهمون أنَّ ليتورجيتَهم هي تسبيقٌ على الأرض للملكوت ولنهاية الأزمنة[٨].

د- «تعال، أيها الرب يسوع، مارانا، تا»

ينتهي سفر الرؤيا بهذه العبارة الليتورجية: «تعال، أيها الرب يسوع، فلتكن نعمة ربنا يسوع معكم أجمعين» (٢٢:٢٠-٢١). «مارانا، تا» عبارة آرامية تختم سفر الرؤيا، وتوجد أيضًا في ١ كو ١٦:٢٢: «إن كان أحد لا يحبّ الربَّ، فاللعنة عليه. مارانا، تا، ولتكن نعمة الرب يسوع معكم... آمين». ويذكر كتاب «الديداكيه» (بداية القرن الثاني)، في الفصل العاشر المكرّس للأفخارستيا، كلمة «مارانا، تا». فهذه الأخيرة هي كلمة ليتورجية معروفة في الجماعات المسيحية، ولها مكانتها الرئيسيّة في الليتورجيا الأفخارستية. لذا هناك تلاقٍ بين الليتورجيا وبين سفر الرؤيا؛ فالليتورجيا الأفخارستية تعلن، شأنها شأن سفر الرؤيا، أن مجيء الرب أكيد: «إصنعوا هذا لذكري حتّى مجيئي».

٣- ليتورجيا سفر الرؤيا أرضية سماوية

من الاحتفال السماوي الذي رآه يوحنا بعينيه وسمعه بأذنيه (رؤ ٤)، ينتقل القارئ، عبر سفر الرؤيا، إلى ليتورجيات سماوية الواحدة بعد الأخرى. هنا يأخذ المدى المكانيُّ للسموّ، الذي هو من ميزات سفر الرؤيا، إطارَ عبادة سماوية. إنه بالتأكيد مظهرٌ مميّزٌ لإسكاتولوجيا العمل الذي فيه تصبح الحقائق الإسكاتولوجية حاضرةً في عبادة سماوية. ولأن الحَمَل هو في صُلب هذه المشاهد من العبادة السماوية، فإنه يخصّ بالتالي بنيةَ العالَم الحاضر، إذ أنَّ هناك تفاعلاً متواصلاً بواسطته بين السماويّ والأرضيّ. هكذا توحّد العبادةُ السماءَ والأرض، كون موضوع عبادة الناس على الأرض هو الجالس على العرش والحَمَل في السماء.

---

٨ THOMPSON L., «Cult and Eschatology in the Apocalypse of John», *JR* 49 (1969) 331-50

يمتزج صوت العبادة على الأرض بصوت العبادة في السماء؛ فإنّ كلّ خليقة «في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وفي البحر» (١٣:٥) تنشد التسبيح، ونفوس الأموات الشهداء تهتف بالنشيد (٩:٦-١٠)، وصلوات شعب الله تُرفَع إلى الحَمَل (٨:٥). هكذا تكسر العبادةُ كلَّ الحواجز، إذ فيها يتساوى الجميع، لأنّها تقيمُ ما هو حقٌّ وما هو واقعيّ. إنها جواب على تعليم الرب القائل: «أطلبوا أولاً ملكوت الله وبِرَّه» (مت ٣٣:٦).

إن سفر الرؤيا، ليس فقط بوضعه الليتورجي، بل أيضًا عبر توجّهه الليتورجيّ المتواصل والراسخ، يجعل إعلانه مركّزًا على العبادة في الحياة المسيحية. بالتأكيد إنّ العبادة هي مركزيّة إلى حدّ أنّ «سكّان الأرض» هم أيضًا مهتمّون بها. يُبرز يوحنا نقطةً بيبلية هامّة هي التالية: «المخلوقات البشرية هي، كمخلوقات، خاضعة لنوع من العبادة. ينبغي أن يخدم الإنسانُ اللهَ أو مَمُّون، والخيار هو ذو أهمّيّة أساسيّة؛ فيوحنا متأكّد أنّ عبادة الأصنام تفسد النظامَ الذي وضعه الله، أما عبادة الله والحَمَل فتُعِدُّ وتُسرِّع مجيءَ سماءٍ جديدةٍ وأرضٍ جديدة، حيث يسكن البِرّ.

٤- سفر الرؤيا كتاب للعبادة

بداية ينبغي إبرازُ الإشارة الهامّة في أوّل السفر (رؤ ٣:١) إلى قراءة، بالتأكيد على مسامع الجماعة، وبالتالي ليتورجيّة، لسفر الرؤيا؛ أليس المقصود قارئًا ومستمعين؟

كانت العبادة في المجمع اليهودي تتضمن قراءةً منتظمةً لنصوص الشّريعة والأنبياء. منذ البدايات تبدو عباداتُ المسيحية الأولى أنها استوحَت هذا النموذجَ ووسّعته من خلال إدخال كتبٍ مسيحيّة؛ رج كول ١٦:٤؛ ١تس ٢٧:٥. هكذا، ومنذ الكلمات الأولى، يبدو سفر الرؤيا وكأنّه كتابٌ قد وُضع للعبادة.

أ- اهتمام كبير بالعبادة

من البديهي التّذكير بأهمية الإشارات إلى أوضاع، وتحديداً إلى صلوات عباديّة، وتواترها: يجري الكلام غالبًا على كؤوس، ومجمرة، ومذابح. الأبواق بالذات هي، في التقليد اليهودي، أدوات عبادة. ليست نادرةً مشاهدُ العبادة، حيث نرى أشخاصًا يؤدّون الانحناء والسجود. تحتوي العبادات الموصوفة إعلانات وترانيم، نَصُّها معطىً طوال ذلك. باختصار، لا تمرّ صفحة من سفر الرؤيا دون أن يكون فيها كلامٌ عن العبادة، أو دون أنْ تدفعَ إلى التفكير فيها.

ب- العبادة وتاريخ الخلاص

يمكننا أن نلحظ أنه، على دفعتين على الأقلّ، هناك وقفة ليتورجيّة في سياق النموّ الأُبوكاليبتي.

في سلسلة الختوم، تتوالى السِّتّةُ الأولى في إيقاعٍ منتظم، ولكن قبل أن ينفتح السابع والأخير، تتوقّف الرواية لكي تُبرزَ شعبَ المختارين منشغلاً بتأدية العبادة لله، معظّمين الخلاصَ الذي تحقّق. هذا يعني أنّ علامات النهاية غير قادرة أن تتحقق من دون أن تُسمعَ عبادةُ الكنيسةِ في هذا العالَم صوتَ البشر الذين يريدون منذ الآن أن يعيشوا من الخيرات الأبديّة التي يهبها الله.

هناك ظاهرة مماثلة في رؤ ١٦: فَقَبْلَ أن تُسْكَبَ الكأسُ الرابعة، مُطلِقةً بدورها نصيبها من الكوارث التي في علامات الدينونة، يُسْمَع حوارٌ ليتورجيٌّ بين ملاكٍ وبين المذبح، يؤدّي الشّكر لأجل عدلِ دينونةِ اللهِ التّام. تتلقّى كلّ مجموعةِ الكؤوس معناها الحقيقيّ: ليست الآفاتُ الموصوفةُ قساوةَ مصيرٍ أعمى، ولا ثأرَ إلهٍ مُهانٍ، بل تدخّلات المخلِّص الذي، كما سابقًا في مصر، يحرّر خاصَّتَه، مقاتلاً أعداءهم.

الوصلة العباديّة، في هذَين المثلَين (وهناك غيرهما)، هي بالضبط رئيسيّة: لا تأخذُ الرّؤى التي تُعلن عن النهاية معناها، ولا يمكنها أن تتابع إلاّ عندما تكشف العبادةُ عن مضمونها الحقيقيّ.

٥- بقايا ليتورجيّة في سفر الرؤيا

أ- نَصّ رؤ ٤-٥

يمثّل هذان الفصلان اللذان يشكّلان في الواقع بدايةَ جسمِ سفرِ الرّؤيا، مشهدَ عبادة سماويّة. توصف العبادة فيهما ببعض فخامة في التفاصيل؛ تتوالى الأفعال، كما أيضًا الإعلانات الاحتفالية. يمكننا، وبكل بساطة، الاندهاش من روعة هذه الرؤية، والانبهار بمذهلات الليتورجيا التي هي صلة الوصل، مُتَبَيِّنين فيها ثمرة تخيّلٍ مُلهَمٍ لدى الرّائي. مع هذا، قد يكون من الواجب إيلاء هذا الوصف انتباهًا كبيراً: من الممكن أن يستلهم هذا الوصفُ احتفالاتٍ حقيقيةً، ويستوحي نصوصَ ليتورجياتٍ معروضةٍ بالذات لدى مسيحيين يتوجّه إليهم سفر الرؤيا.

في الواقع، نجد في هذين الفصلين، رؤ ٤ و٥، نسخًا طبق الأصل لليتورجيا يهوديّةٍ، ينبغي أن ترقى إلى عبادة المجمع في القرن الأول المسيحي. في ما يلي ترتيبه:

- هناك أولاً احتفال **بالله الخالق**. الأساس البيبلي لهذه الصلاة هو:
- نبوءة حزقيال التي تُبرز الله مستويًا على الحيوانات الأربعة؛
- نشيد قدّوس (أش ٦:٣). تبدو هنا روعة تكييف هذا النَّصّ الجميل مع المسيحيّة.
- في وقت ثانٍ هناك مديح **للشريعة**: يُبرز رؤ ٥، في هذا المكان، الكتابَ المختومَ الذي يستطيع الحَمَلُ وحدَه أن يفتحه. أليس هذا تلميحًا إلى الشريعة (هنا العهد القديم) التي وحده المسيح يعطيها معناها الحقيقي؟
- أخيراً، تنشد الصلاةُ اللهَ المخلِّص.

هذا هو الموضوع «المُمَسْحَن» للنشيد الجديد الذي هو محور الرؤية (رؤ ٥:٩-١٠).

يُبْرِز الفصلان ٤ و٥، إذاً، الإنفصال عن ليتورجيا قديمة استعارها المسيحيّون الأوائل من العبادة اليهوديّة التي كانوا يعرفونها، بسبب أنّهم كانوا قد اشتركوا فيها.

ب- عرس أورشليم السماوية[٩]

سفر الرؤيا مُوَجَّهٌ نحو تتميم تصميم الله، واضعًا في مقابل البؤس الحاضر عرسًا أبديًّا: «فلنفرحْ، ولنُشدْ بمجده، لأنّ عرس الحَمَل قد حضر، وعروسَه قد هيّأت نفسَها، وأوتِيَت أن، تلبسَ بزًّا بهيًّا نقيًّا، فالبَزُّ هو أعمالُ القدّيسين البارّة» (رؤ ١٩:٧ي). توصف العروسُ لاحقًا على أنها أورشليم الجديدة: «رأيتُها نازلةً من السماء، من لدن الله، مهيَّأةً كعروس تزيّنت لعريسها» (٢١:٢).

قبل التعليق على هذه النصوص التي جعلتها الليتورجيا مألوفةً، من المفيد التذكير بالظروف التي فيها تلقّى يوحنا في جزيرة باتموس رؤاه ودوّنها. ففي حين أنّ لا شيءَ في رسالة بولس إلى الأفسسيين كان يسمح بتبيُّن وجود مواجهة قاسية بين الكنيسة والأمبراطورية، فإنّ سفرَ الرؤيا قد كُتب في أوج اضطهاد دوميسيانوس؛ وإذ كان مكدِّسًا لامتيازات إلهية، أمر رعاياه بأن يدعوه «السيد أو الإله»[١٠]. في آسيا الصغرى خاصة، اتّخذت عبادة الأمبراطور أبعادًا كبيرة؛ رَفْضُ المشاركة فيها يعني وضْع الذات على هامش المجتمع، وتعريضها الذات لخطر الموت (١٣:١٧). في هذه الظروف، لا نعجب من أن يكون ملافنةٌ وأنبياء يقلّلون من مضمون الأفعال المطلوبة بقَولهم، مثلاً: أيّ سوءٍ في حرق البخور أمام نصب الأمبراطور، أو في أكل لحمٍ مُقَدَّمٍ إلى آلهة الأمبراطورية (رج رؤ ٢:١٤-٢٠)؟! يندّد يوحنا بقوّةٍ نبويّةٍ بممارسات عباديّةٍ من هذا النوع، معتبرًا إياها وكأنّها زنى إسرائيل لبعل فعور (رؤ ٢:١٤؛ عد ٢٥:١-٢؛ ٣١:١٦). بكلامٍ آخَر، هل تتصرّف الكنيسة كإسرائيل الزوجة الزانية التي ندّد بها هوشع، وإرميا، وحزقيال، أم تبقى أمينة لدعوتها كزوجة أمينةٍ وقدّيسة؟

---

٩ COTHENET E., *Exégèse et liturgie* (Lectio divina 133; Cerf: Paris, 1988) 252ss.

١٠ SUÉTONE, *Vie de Domitien*, XIII, 4; P. Prigent, «Au temps de l'Apocalypse. I. Domitien; II. Le culte impérial au 1er s. en Asie Mineure; III. Pourquoi les persécutions?», *RHPR* (1974) 455-483; (1975) 215-235, 341-363.

ج- عرس الحمل والكنيسة[١١]

يوسّع يوحنا موضوع عرس الحَمَل والكنيسة مرّتَين في الفصلين ١٩ و٢٢. يشدّد النّصُّ الأوّل على زينة العروس (١٩:٧-٨)، أمّا الثاني فعلى تشبيهها بأورشليم السماوية (٢٢:٢). بين الاثنين يَرِدُ ذكْرُ مُلْكِ المسيح على الأرض ألف سنة (٢٠:١-٦). أليس هذا علامةً بأنّه يجب عدم البحث عن تابع زمني في هذه الرؤى، بل أنّ كلاًّ منها يبرز أحدَ أوجه حياة الكنيسة، الأرضية والسماوية في آنٍ معًا؟ نلفت الانتباه هنا إلى أوّل رؤيا للعروس.

يثير الإعلانُ عن سقوط بابل انطلاقَ ليتورجيا سماوية يشترك فيها الأربعةُ والعشرون شيخًا والأحياء الأربعةُ، ثمّ جمهور المختارين الكبير: «كانوا يهتفون: هللويا! لأنّ الرّبّ إلهنا الضابطَ الكُلّ قد ملك. فلنفرحْ ونبتهج، ولنمجِّدْهُ، لأنّ عرس الحمل قد حضر، وعروسه قد هيّأت نفسَها».

د- ليتورجيا افخارستيّة

يمكننا أن نقارب بين خاتمة رؤيا (٢٢:١٧-٢١)، وبين نصَّين آخرين عائدين إلى المسيحيّة الأولى، وأن نستخلصَ أنّ المقارنةَ بين هؤلاء الشهود الثلاثة تؤدّي إلى ذات الحوار الليتورجيّ المُستَلّ من ليتورجيا أفخارستيّة كانت مستعملة لدى مسيحييّ الأجيال الأولى.

الملاحظة الأولى تشير إلى وجود الصلاة في ٢٢:٢٠: «تعال، أيها السيّد»، أو أنّ هذا، في الترجمة اليونانيّة، هو أحد المعنيَين المحتملَين للصيغة الآراميّة «مارانا، تا» التي نجدها في ١كو ١٦:٢٢، وفي مؤلّف من آخر القرن الأول، كان يحظى باحترام المسيحيين الأولين الذين كانوا يستعملونه، ألا وهو **الديداكيه**، أي **تعليم الرسل الاثني عشر**.

---

١١ COTHENET E., *Exégèse et liturgie*, pp. 254ss

تُدرج ديداكيه ١٠ الصيغةَ الآراميّةَ (المكتوبة بالحرف اليوناني، كما عند بولس) في تقديم النّصوص الافخارستيّة. هذا الإطار، كما أيضًا الطابعُ غيرُ المعتاد لكلماتٍ آراميّة في مؤلّفاتٍ موضوعةٍ لجماعة يونانيّة، يجعلان المرء يظنّ أنّ هناك اقتباسًا عن ليتورجيّةٍ ما.

انطلاقًا من هذه العلامة الأولى، نصل إلى مقارنةِ حركةِ النّصوصِ الثلاثة وكلماتِها بالذات. في ما يلي الحوار الليتورجيّ في ديداكيه ١٠:٦:

- تمنّي النعمة؛
- دعوة وتحذير: «إذا كان أحدٌ ما قدّيسًا، فليأتِ، وإذا لم يكن، فَلْيَقُمْ بالتّوبة!»
- «مارانا، تا».
- آمين.

لدينا انطباعٌ أن بولس يكتب وهو يفكّر بنصّ ما قد يكون تقريبًا كالتالي:

- دعوة وتحذير: إذا كان أحد ما يحبّ الربّ، فليأت». إذا كان أحد لا يحب الرب، فليكن محرومًا؛
- «مارانا، تا»؛
- تمنّي النعمة (١ كو ١٦:٢٢-٢٣).

بالنسبة إلى سفر الرؤيا، التكيّفُ مع النوع الأدبيّ لخاتمة الكتاب قد أدّى بالتأكيد إلى تعديلات إضافيّة. نجد مع هذا:

- دعوة: مَن كان عطشانًا فليأتِ...
- تحذير: تمّ تحويلُه لكي يشكّل خاتمةً لسفر الرؤيا؛ مع هذا نلاحظ أن آ ١٨-١٩ تؤكّدان أنّ الذين لا يحترمون الشروط المفروضة لا يكون لهم نصيبٌ في شجرة الحياة (رمز أفخارستيّ).

- آمين.
- تعال، أيها الرب! = «مارانا، تا».
- تمنّي النعمة.

نودّ اعتبار هذا العرض الموجز، ليس كبرهان، بل كتقديمٍ بسيطٍ للمراحل الرئيسيّة للتفكير حول هذا الموضوع، وللنصوص التي تسمح بذلك.

من الواضح أنّنا لا نملك نصًّا دقيقًا لهذه الليتورجيا. مع هذا، يمكننا اعتبار حركته بالذات هي محدّدة تقريبًا لتسمح بتمييز النيّة والمضمون اللاهوتيَّين اللذَين لها: في الوسط بالذّات، هناك الـ«مارانا، تا». يمكن ترجمةُ الصيغةِ الآراميّةِ بصلاة: «تعال!»، كما في سفر الرؤيا، أو أيضًا بالتأكيد: «الربُّ أتى: إنّه هنا». مهما كانت ترجمتها، المقصود في الحالتين هو مقترَحٌ يتعلق بحضور المسيح.

هناك نتيجة مزدوجة يمكن استخلاصها، وهي التالية: الربُّ الذي يمكننا لقاؤه هو المخلّص الذي يدعونا قائلاً: «تعالوا». هو يقدّم لنا خيراته، والإفخارستيا هي العلامة المحسوسة لذلك. لكنه أيضًا الإله العادل والقدّوس، القاضي الذي لا يمكنه أن يتسامح مع الشرّ. لا يمكننا الدنوّ منه دون أن تكون هناك إرادة بطاعته، وإلاّ فيغرب عنا، فلا نعود نتشارك معه، ونواجه الدينونة منفردين.

يبدو أن كلّ الثقل اللاهوتي لهذه الليتورجيا هو نتيجة اتحاد مقترحَين: دعوةٌ وتحذيرٌ، دعوةٌ وتهديدٌ، هما الدّفتان اللتان لا تنفصلان، واللتان، وَفقهما، الخلاص هو دائمًا موحًى. صحيح أنّ الله لا يُظهر ذاته عادلاً إلاّ عن طريق التبرير، والإنسان لا يُفهَم إطلاقًا مبرَّراً إلاّ عندما يجهد النَّفْسَ في الطاعة.

بالتأكيد، ليس صدفة، إذا كان سفر الرؤيا الذي يُفتَتح ككتاب مخصّص لليتورجيّا، يُقفَلُ بإشارة إلى ليتورجيا أفخارستية. ينبغي أن يُعْلِنَ كلُّ السِّفر مجيءَ المسيح، مجيئَه الأخيرَ بالتأكيد. لكنَّ الكلام هنا يجري على مجيءٍ عتيدٍ للتّأكيد على

أنّ الناس لا يميّزون، طوال أيامهم، النتائجَ الأخيرةَ لمجيء يسوع. هناك فرصةٌ إذًا في حياة الناس على الأرض حيث يُعلَن العمل الكامل للخلاص ويُحَقَّق: إنها العبادة.

في العبادة يحتلّ الناس تمامًا المكان المحفوظ لهم: مكان عُبّاد يعترفون لله وحده بالقدرة على خلق كلِّ شيء، وبخلقِ كلِّ شيءٍ من جديدٍ بيسوع، حتى حياتهم الخاصّة. هي الليتورجيا، في نهاية المطاف، التي تضع الناس في علاقة فوريّة وسرّيّة مع الأبديّة، مع السماء، مع الله. هي الليتورجيّا التي تجعلهم يشعرون بالمعجزة، ليس كنشوة تحمل صاحبها بعيداً عن العالم، بل كالنعمة التي تسمح بالأمانة التي يطلبها الله القدوس.

خلاصة

سفر الرؤيا، كتاب العبادة والسّجود، هو صدى بعيدٌ لليتورجيا مسيحيّة عاشتها الكنيسةُ الأولى، وتأمّلت مليًّا بمعانيها وأبعادِها اللاهوتية. كتابٌ يبدأ في يوم الرب (يوم أحد)، مع حوار ليتورجي (رؤ ١:٤-٨)، وينتهي في ليتورجيا أفخارستية، في ليتورجيا تقدمة الحَمَل، في انتظار النُّهية، في انتظارِ الرّبّ الصّادق في مواعيده، الحيِّ والحاضر في كنيسته حتّى منتهى الدهور.

مراجع

BAUCKHAM R. J., «The Worship of Jesus in Apocalypse Christianity», *NTS* 27 (1980-81) 322-341.

COTHENET E., *Exégèse et liturgie* (Lectio divina 133; Cerf: Paris, 1988).

HARRINGTON D., *Revelation. The Book of the Risen Christ* (Spiritual Commentaies, 1999).

Id, «L'Apocalypse», in: E. Cothenet et alt., *Les écrits de Saint Jean et l'épître aux Hébreux* (Desclée: Paris, 1984) 215-282, spécial; 270-274.

JOHNSON S. E., «Asia Minor and Early Christianity», In J. Neusner, ed., *Christianity, Judaism and Other Greco-Roman Cults*, part 2, *Early Charistianity* (Leiden: E. J. Brill, 1975) 45-77.

KERESZTES P., «The Jews, the Christians, and Emperor Domitian», *Vigiliae Christianae* 27 (1973) 1-28.

PLEKET H., «An Aspect of the Emperor Cult: Imperial Mysteries», *HTR* 58 (1961) 331-347.

PRIGENT P., *Apocalypse et liturgie* (Neuchâtel, Paris, 1964).

SCHERRER S. J., «Signs and Wonders in the Imperial Cult», *JBL* 103 (1984) 599-610.

THOMPSON L., «Cult and Eschatology in the Apocalypse of John», *JR* 49 (1969) 331-50.